

دلالة الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية: تأصيل قرآني لمفهوم الأمن

**The significance of fear and hunger in light of Islamic belief:
A Qur'anic foundation for the concept of security**

د. هديل علي قاسم*

DR. Hadeel Ail Qasim

¹ وزارة التربية العراقية، alhoda.moon@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/08/15

تاريخ القبول: 2025/08/14

تاريخ الاستلام: 2025/07/31

ملخص:

يتضمن البحث الحالي دراسة دلالة مفهومي الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية، من خلال قراءة قرآنية تأصيلية تربط بين هذين المفهومين وبين مفهوم الأمن بوصفه نعمة إلهية مشروطة بالإيمان والاستقامة. وينطلق البحث من إشكالية محورية تتمثل في سر اقتران الخوف والجوع في نصوص قرآنية عديدة، ودلالته العقدية في بناء الوعي الإيماني والتربوي لدى الفرد والمجتمع.

وتهدف الباحثة إلى بيان المعنى العقدي لكل من الخوف والجوع، والكشف عن البعد التربوي والابتلائي لهذا الاقتران، مع تحليل أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي، وبيان كيف تمثل العقيدة مصدراً للتوازن الداخلي والاستقرار المجتمعي في أوقات الأزمات. يعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالخوف والجوع، إلى جانب المنهج المقارن في عرض تصورات الأمن المعاصرة. وتكمن أهمية الدراسة في تقديم رؤية عقدية متكاملة تربط بين الأزمات الوجودية والاضطرابات النفسية والمعيشية وبين ضعف الأمن العقدي، مما يبرز الحاجة لإحياء المعالجة الإيمانية في فهم وتحقيق الأمن بمفهومه الشامل في الواقع المعاصر.

كلمات مفتاحية: الأمن العقدي، الخوف، الجوع، الفكر العقدي، التحديات الفكرية، التربية الإيمانية

Abstract:

The current research involves a study of the significance of the concepts of fear and hunger in the light of Islamic creed, through a foundational Qur'anic reading that links these two concepts to the concept of security as a divine blessing conditioned by faith and righteousness. The research stems from a central problem concerning the reason for the frequent association of fear and hunger in numerous Qur'anic texts, and its creedal significance in building the faith-based and educational awareness of the individual and society.

The researcher aims to clarify the creedal meaning of both fear and hunger, and to uncover the educational and trial-related dimension of this association. This is done while analyzing the impact of the Islamic creed in achieving psychological and social security, and demonstrating how the creed represents a source of internal balance and societal stability in times of crisis. The research relies on the analytical-deductive method for the verses of the Holy Qur'an related to fear and hunger, alongside a comparative method in presenting contemporary conceptions of security. The importance of the study lies in providing an integrated creedal vision that links existential crises, psychological and living disturbances with the weakness of creedal security, which highlights the need to revive the faith-based approach in understanding and achieving security in its comprehensive sense in the contemporary reality.

Keywords: Creedal Security, Fear, Hunger, Creedal Thought, Intellectual Challenges, Faith-Based Education

● مقدمة

لقد حظي الإنسان في القرآن الكريم بعناية فائقة، تتناول كيانه كله من حيث فطرته وتكوينه النفسي والاجتماعي والمعنوي، وقد قرر الوحي أن الخوف والجوع من أعمق المشاعر الإنسانية التي تعترى الإنسان حين تتزعزع قواعد الأمن والاطمئنان. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَعَلْنَا إِلَٰهًا لِّبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النحل: 112)، دلالة عميقة على اقتران هذين المفهومين بما يحدثه الإنسان من فساد في عقيدته وسلوكه، مما يهدد استقراره الروحي والاجتماعي.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج مفاهيم عقدية أساسية تمس جوهر العلاقة بين الإنسان وخالقه، ويكشف عن كيف أن فقدان الأمن بكل أبعاده (النفسي، والغذائي، والاجتماعي) مرتبط

في التصور الإسلامي بحال العقيدة والاستقامة. كما أن إعادة قراءة مفهومي الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية يبرز نظرة القرآن الشاملة للأمن بوصفه نعمةً إلهية مشروطة بالاعتراف والتقوى. أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع نتيجةً لتكرار ورود مفهومي الخوف والجوع مقترنين في نصوص قرآنية ذات طابع تحذيري أو تفسيري لسنن الله في الأمم، مما يدفع للتساؤل عن السر العقدي في هذا الاقتران، ودوره في بناء الأمن الإيماني والواقعي. كما جاءت الرغبة في توظيف هذه القراءة في مواجهة التحديات المعاصرة التي تهدد الأمن الإنساني.

إشكالية البحث

- ما دلالة اقتران مفهومي الخوف والجوع في السياق القرآني؟
- وكيف يُفسَّر هذا الاقتران في ضوء العقيدة الإسلامية كمفتاح لفهم معنى الأمن؟
- وإلى أي مدى يمكن تأصيل فهم قرآني عقدي للأمن ينسجم مع احتياجات الإنسان النفسية والاجتماعية؟

تساؤلات البحث

1. ما المعنى العقدي لكل من "الخوف" و"الجوع" في القرآن الكريم؟
2. ما السر في اقتران هذين المفهومين في أكثر من موضع قرآني؟
3. كيف تؤثر العقيدة الإسلامية في بناء الأمن النفسي والاجتماعي؟
4. ما دور الإيمان في تجاوز آثار الخوف والجوع في حياة الأفراد والمجتمعات؟

أهداف البحث

1. بيان المفهوم العقدي لكل من الخوف والجوع في ضوء النصوص القرآنية.
2. الكشف عن أبعاد اقتران المفهومين وتفسيره ضمن مقاصد العقيدة.
3. تأصيل مفهوم الأمن في العقيدة الإسلامية.
4. إبراز البعد الإيماني في مواجهة الأزمات النفسية والمعيشية.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي في تتبع الآيات والأحاديث المتعلقة بالخوف والجوع، وتحليلها في ضوء كتب العقيدة والتفسير، مع الاستفادة من المنهج الاستقرائي في تتبع ورود المصطلحين، والمنهج المقارن عند عرض الدراسات السابقة والاتجاهات الحديثة في فهم الأمن.

حدود البحث

الموضوعية: يركز البحث على المعالجة العقدية لمفهومي الخوف والجوع دون التوسع في الأبعاد الاقتصادية أو السياسية إلا بما يخدم المقصد العقدي. النصوص: يقتصر على نصوص القرآن الكريم وما ورد عن النبي ﷺ مما يخدم المقاربة العقدية.

الزمنية: البحث غير محدد بزمان معين، ولكنه يتناول الظاهرة بمنظور شامل مع ربط معاصر. المكانية: يركز على السياق الإسلامي والقرآني دون مقارنات مع الفكر الغربي.

الإفادة من الدراسة

يتميز هذا البحث بتركيزه على تأصيل دلالة اقتران مفهومي الخوف والجوع في النصوص القرآنية من منظور عقدي، حيث يُنظر إليهما كعلامتين على فقدان الأمن الإيماني المرتبط بالابتلاء والاستقامة. كما يقدم رؤية شاملة تربط بين الأمن النفسي والاجتماعي والبعد الإيماني، مما يسد فجوة في الدراسات السابقة التي لم تعالج هذا الاقتران باعتباره مفتاحاً لفهم الأمن في الإسلام. هذا البحث يسعى لفهم أعمق للأزمات المعاصرة من خلال منظور قرآني متكامل للأمن.

الدراسات السابقة

- اطّلت الدراسة على عدد من البحوث القرآنية والعقدية التي تناولت موضوع الأمن والخوف، منها:
- دراسة النعيمشي: د. عبد العزيز بن محمد 1993م، بعنوان: "فقه الابتلاء في ضوء الكتاب والسنة"، نشرت في دار العاصمة - الرياض، وهدفت الدراسة إلى: تأصيل مفهوم الابتلاء في العقيدة الإسلامية وتحليل صور الابتلاء وأنواعه ووسائله في القرآن والسنة، وأيضاً إبراز الحكمة العقدية والتربوية من وراء الابتلاء.
 - الافادة: تفيد الدراسة في عرض الخوف والجوع كابتلاء إلهي، غير أنها لم تُركّز على دلالتهما المركبة في إنتاج مفهوم قرآني للأمن.
 - دراسة نوفل: د. أحمد عبد الكريم نوفل 2001م، بعنوان: "الأمن في القرآن الكريم: دراسة موضوعية" نشرت في الجامعة الأردنية - كلية الشريعة، وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الأمن في القرآن الكريم من خلال تتبع لفظه ودلالاته، واستقراء السياقات التي ورد فيها مفهوم الأمن والاطمئنان، وتحليل علاقته بالإيمان والتقوى والتوحيد اللفظي والموضوعي دون تحليل معمق لثنائية الخوف والجوع.
 - الافادة: تفيد هذه الدراسة في تحديد المفهوم القرآني للأمن كمدخل عام، غير أنها لم تتناول دلالة الخوف والجوع مقترنين، وهو ما يميز هذا البحث عنه.
 - دراسة الطريقي: د. عبد الله بن ابراهيم 2005م، بعنوان: "مفهوم الأمن في الإسلام: دراسة في أبعاده العقدية والاجتماعية"، نشرت في جهة النشر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهدفت الدراسة إلى بيان أن الأمن قيمة عقدية واجتماعية في الإسلام، وتحليل العلاقة بين الأمن والتوحيد، كذلك التأسيس لفهم شامل للأمن في ضوء العقيدة.
 - الافادة: تؤسس الدراسة لربط العقيدة بالأمن، وهو ما يشكل قاعدة مهمة في بحثنا، لكنها لم تتناول اقتران الخوف والجوع ولا تفسيره العقدي في ضوء النص القرآني.

يتضح من خلال عرض الدراسات السابقة أن معظم الجهود تركزت على المفهوم العام للأمن أو مفهوم الابتلاء، دون تناول دلالة الاقتران بين الخوف والجوع كمصطلحين قرآنيين يتكرران في سياقات ذات طابع تحذيري أو بياني لسنن الله في الكون. وهنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى سد هذه الثغرة التأصيلية، وربط ذلك بمنظور العقيدة الإسلامية ومقاصد القرآن في حفظ النفس والدين.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول: يحتوي كل منها على مجموعة من المباحث والمطالب:

- التمهيد الإطار العام
- الفصل الأول: مفهوم الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية.
- الفصل الثاني: تأثيرات الخوف والجوع في ضوء الإيمان: الأثر النفسي والاجتماعي للعقيدة الإسلامية.
- الفصل الثالث: الأمن العقدي بين النظرية والتطبيق في ضوء الخوف والجوع.

1. التمهيد: تحديد المصطلحات

- أولاً: المفاهيم والمفردات القرآنية: الأمن، الخوف، الجوع
- تُعدّ المفردات الثلاث: الأمن، والخوف، والجوع، من الألفاظ المركزية في البناء العقدي والتربوي في القرآن الكريم، حيث ترتبط ارتباطاً مباشراً بتجربة الإنسان الوجودية. ومن هنا تأتي أهمية الوقوف على دلالاتها اللغوية والاصطلاحية والقرآنية.
- ف "الأمن" لغةً: مأخوذ من الجذر (أ-م-ن) الذي يدل على الطمأنينة وزوال الخوف. وقد أوضح ابن منظور (ابن منظور، لسان العرب، 1993، ج13، ص19) أن "الأمن ضد الخوف، وهو قرار القلب وطمأنينته"، بينما أكد ابن فارس (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1991، ج1، ص132) أن أصل الجذر يدل على "طمأنينة النفس والثقة".
- أما اصطلاحاً: فالأمن هو حالة من الاطمئنان النفسي والجسدي نتيجة انتفاء أسباب الخوف والقلق، ويُعد في التصور الإسلامي ثمرة من ثمرات الإيمان والتوحيد، كما يشير إلى ذلك النغيمشي في كتابه (النغيمشي، 1993، ص128).
- أما "الخوف": فيُشتق من الجذر (خ-و-ف)، ويدل على الفزع أو توقع الأذى، وهو ضد الأمن. وقد ورد في لسان العرب أن الخوف "فزع في النفس من توقع الشر" (ابن منظور، لسان العرب، 1993، ج9، ص53)، وأكد ابن فارس (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1991، ج2، ص255) أن الجذر يدل على "اضطراب النفس عند توقّع المكروه".
- ويُعرف اصطلاحاً بأنه انفعال نفسي ينشأ من الشعور بخطر متوقّع، وهو من العبادات القلبية إذا صُرف لله وحده، كما أشار الجرجاني في التعريفات إلى أنه: "تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه" (الجرجاني، التعريفات، 1985، ص95).

- وأما "الجوع": فهو مأخوذ من الجذر (ج - و - ع)، ويدل على خلو البطن من الطعام أو الحاجة إليه. وقد بين ابن منظور (ابن منظور، لسان العرب، 1993، 90/14) أن الجوع هو "نقيض الشبع، وخلو المعدة من الغذاء"، بينما ذكر ابن فارس (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1991، 389/1) أن الجذر يدل على "نقص الطعام والحاجة إليه".

وفي الاصطلاح: يُفهم الجوع على أنه حالة حرمان فسيولوجي ونفسي تؤثر على الإنسان، ويُستخدم أحياناً في السياق القرآني للدلالة على الابتلاء، كما ورد في التفسير المنير (الزحيلي، التفسير المنير، 1998، 208/14). وقد وردت هذه المفردات مجتمعة أو متجاورة في عدد من الآيات،

قال تعالى: ﴿إِلَٰذِ أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (4) سورة قريش: 4

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ سورة البقرة: 155

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَالَمٌ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ﴾ (82) سورة الأنعام: 82.

مما يدل على أن الأمن هو نقيض الخوف والجوع، وأن تحقيقه مقصد قرآني يتصل بإيمان الإنسان وتوكله على ربه.

ثانياً: الأمن في المفهوم العقدي والربط بينه وبين التوحيد

يُعدّ الأمن في التصور العقدي الإسلامي قيمة مركزية تنبثق من الإيمان بالله والتوحيد الخالص له، وتتجاوز دلالاته حدود زوال الخوف الظاهري إلى عمق الطمأنينة القلبية والسكينة الروحية.

فالأمن في المفهوم العقدي لا يتحقق إلا بتحقيق التوحيد، كما دلت عليه الآية قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَالَمٌ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ﴾ (82) سورة الأنعام: 82، وفسر النبي ﷺ "الظلم" الوارد في الآية بأنه الشرك بالله، كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حين قال: «ليس كما تظنون، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾...» (البخاري، صحيح البخاري، 2001، حديث رقم 3360)

ويؤكد ابن كثير (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 304/2): أن الأمن الحقيقي لا يُنال إلا بتحقيق التوحيد ونفي الشرك، وهو المقصود في الآية الكريمة. كما ذهب الرازي (الرازي، التفسير الكبير، د.ت، 150/13) إلى أن الأمن والهداية متلازمان لا ينفصلان في ظل العقيدة السليمة، وأن الخوف والضياع نتيجة لضعف الإيمان أو فقدانه.

إن التوحيد هو أصل الأمن في التصور الإسلامي، وإذا تخلف التوحيد، تخلف الأمن، سواء على مستوى القلب، أو على مستوى الواقع؛ فالفرد الذي يتصل بخالقه توحيداً وعبادة، يطمئن قلبه ويأمن ضميره، والمجتمع الذي تُبنى هويته على الإيمان، تُرفع عنه أسباب الهلع والفوضى والعدوان.

2. الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية

الخوف والجوع هما من أبرز المفاهيم التي تناولها القرآن الكريم في سياق الابتلاء والعقيدة، حيث تجسّدان التجربة الإنسانية في مواجهة المحن والشدائد. يتناول هذا الفصل دلالة هاتين المفردتين في ضوء العقيدة الإسلامية، مستعرضاً دلالاتهما اللغوية والقرآنية، ومُبيّناً الأبعاد العقدية المرتبطة بهما، لا سيما في علاقة الإنسان بخالقه، وفي إطار مفاهيم التوحيد والعبودية. كما يسلط الفصل الضوء على الأسباب العقدية والخلقية التي تؤدي إلى شعور الإنسان بالخوف والجوع، باعتبارهما جزءاً من سنن الله تعالى في ابتلاء عباده وتهذيب نفوسهم.

1.2 الخوف والجوع في القرآن الكريم: دلالات ومعاني عقدية

يتناول هذا المبحث دلالة مفردتي الخوف والجوع في القرآن الكريم من منظور عقدي، حيث يُبيّن المعاني المتعددة لكل منهما ودورهما في تشكيل تجربة الإنسان الإيمانية. كما يوضح كيف يميز القرآن بين الخوف المشروع وغير المشروع، والجوع كابتلاء أو عقوبة، مع التركيز على ارتباطهما بالعقيدة الإسلامية.

1.1.2 الخوف في القرآن الكريم دلالات والمعاني العقدية

يُعدّ الخوف من المشاعر الإنسانية الأساسية التي تناولها القرآن الكريم بكثير من الدقة والعمق، إذ جاء تعبير الخوف متنوع الدلالات والمعاني بحسب السياق القرآني، ومن أهمها الخوف من الله باعتباره من أهم أركان العقيدة الإسلامية. سبق بيان مفهوم الخوف من حيث اللغة والاصطلاح، وفي هذا المطلب نتناول وروده في القرآن الكريم ودلالاته العقدية، مع التركيز على الفرق بين الخوف المشروع والخوف المذموم، ومدى ارتباطه بمفهوم التوحيد والعبودية.

أولاً: دلالات الخوف في القرآن الكريم

ورد الخوف ومشتقاته في القرآن الكريم في سياقات متعددة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: 175). (ابن كثير، 1997، ج2، ص157)، وقوله: ﴿وَيَذْعُوكَ رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (سورة الأنبياء: 90). (السعدي، 1995، ص89)، وقد دلّ ذلك على أن الخوف من الله عبادة قلبية عظيمة تُلازم الإيمان الصادق، بخلاف الخوف من غيره، فإنه مذموم وقد يقود إلى ضعف العقيدة.

ثانياً: الخوف المشروع والمذموم وعلاقته بالتوحيد

الخوف المشروع هو ما كان من الله تعالى، مبنياً على تعظيمه والخشية من عذابه، وهو دافع للطاعة والامتثال. أما الخوف المذموم فهو الخوف من الخلق أو الأحداث بما يُنافي التوكل ويضعف العقيدة. والقرآن يربط بين كمال التوحيد وكمال الخوف من الله، كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ

﴿مُشْفِقُونَ﴾ (57) سورة المؤمنون: 57 (الطبري، 1992، ج 6، ص 329). وقد بين العلماء هذا الفرق، موضحين أن الخوف المشروع يُثاب عليه العبد، بينما المذموم قد يكون سبباً في ضعف التوحيد (الغزالي، 1992، ج 4، ص 220). ويرى المفسرون أن هذا الارتباط بين الخوف والعبودية دليل على تمام الإيمان (القرطبي، 1964، ج 12، ص 135).

2.1.2 الجوع في القرآن الكريم المعنى وأبعاده العقدية

بعد أن تبين في المطلب السابق دلالة الخوف وموقعه في البناء العقدي في النصوص القرآنية، نتجه في هذا المطلب إلى الوقوف على دلالة الجوع كما وردت في القرآن الكريم، وذلك لما لهذه المفردة من أثر عميق في تصور الإنسان للعلاقة مع ربه تعالى، حيث يرتبط الجوع بمواضيع الابتلاء، والرزق، والافتقار إلى الله، ما يجعله من المفاهيم المركزية التي تُستثمر في ترسيخ العقيدة.

أولاً: الجوع كابتلاء في القرآن الكريم

وردت مفردة الجوع في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وغالباً ما تقترن بمقاصد تربوية وعقدية، على رأسها الابتلاء الإلهي لعباده لتمييز الصابرين وتربية القلوب على التوكل، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (155) سورة البقرة: 155، وقد أشار المفسرون إلى أن الجوع هنا يشير إلى ابتلاء جزئي يصيب الناس لحكمة، منها لفت أنظارهم إلى مصدر رزقهم الحقيقي، وأنهم لا يملكون دفع هذا الجوع إلا بالله تعالى (الطبري، 2000، 543/3).

وقال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (112) سورة النحل: 112، وفي هذه الآية عرض لعقوبة دنيوية حلت بأهل قرية بسبب كفرهم بنعمة الله، حيث صُرفت عنهم الخيرات وأصابهم الجوع والخوف، ليكون ذلك زجراً لهم وتذكيراً بأن النعم مربوطة بالإيمان والعمل الصالح (ابن كثير، 1999، 582/4).

ثانياً: البعد العقدي للجوع: الفقر إلى الله جل جلاله ووعي التوكل

الجوع في القرآن ليس مجرد حالة جسدية بل هو تجسيد لافتقار العبد إلى خالقه، وهو وسيلة إيقاظ روعي تربي في النفس معاني الانكسار والتوكل والخضوع، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سورة الرعد: 26، فهو القابض الباسط، يفتح الرزق لحكمة ويمنعه لحكمة، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (سورة الملك: 21، فلا مخلوق يملك أن يدفع عن نفسه الجوع أو يجلب لنفسه القوت إلا بإذن الله، وهو ما يجعل الجوع وسيلة لترسيخ العبودية الحقة (الرازي، بدون سنة، 164/27).

تكشف دلالة الجوع في القرآن الكريم عن أبعاد عقدية عميقة؛ فهو ابتلاء تربوي، وعقوبة تأديبية، وتذكير بالفقر الذاتي إلى الله. وهذا المفهوم يعزز روح التوكل، ويدفع الإنسان إلى إدراك أن مصدر القوت والرزق هو الله وحده، فيتولد في نفسه الخضوع والعبودية التامة.

ثالثاً: أثر الجوع في تهذيب النفس والعقيدة

يمثل الجوع وسيلةً تربويةً في تهذيب النفس وارتقاءها، إذ لا يقتصر أثره على الجانب الجسدي، بل يتجاوز ذلك إلى تهذيب الإرادة، وكسر الشهوات، والتقرب إلى الله تعالى من خلال الشعور بالافتقار والخضوع له. وقد دلت النصوص الشرعية على أن قلة الطعام وسيلة إلى رقة القلب وزيادة الخشوع؛ فقد ورد عن النبي ﷺ: «بَحْسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَاةَ فُتِلَتْ لَطْعَامُهُ، وَتُلْتُ لَشْرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ». (ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 2001، 489/1). وهذا التوجيه النبوي يجسد مبدأ التوازن والاعتدال الذي يؤسس عليه البناء العقدي للمسلم، ويهذب النفس من الترف والإسراف الذي يؤدي إلى الغفلة.

ومن جهة أخرى، فإن الجوع يُشعر الإنسان بضعفه وحاجته إلى خالقه، ويذكره بالمحرومين، مما يعزز خلق التواضع، والإحساس بالآخرين، ويحقق معنى من معاني العبودية في الإسلام، وهو استشعار الافتقار الدائم إلى الله تعالى (الرازي، التفسير الكبير، بدون سنة، 26/232)، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ¹⁵﴾ سورة فاطر: 15، إن تهذيب النفس بالجوع ليس غايةً في ذاته، بل وسيلة تربوية توصل إلى نقاء القلب، وتعميق الصلة بالله، وتذكير الإنسان بضعفه وضعف المخلوقات جميعاً أمام خالقه سبحانه (الطبري، جامع البيان، 2000، 112/22).

3.1.2 اقتران الخوف والجوع – دلالاته التربوية والعقدية

جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم اقتران الخوف والجوع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ سورة البقرة: 155، وقال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ¹¹²﴾ سورة النحل: 112، وليس هذا الاقتران عارضاً بل له دلالة عميقة في البناء العقدي والتربوي، إذ يجتمع العاملان في تشكيل وعي الإنسان بحقيقة افتقاره إلى الله، وأنه لا أمن ولا رزق إلا منه، وأن كل ما عده زائل أو عرضة للزوال، ويتضمن هذا المطلب أهم دلالات هذا الاقتران من الزاويتين العقدية والتربوية.

أولاً: دلالة الاقتران في ترسيخ معاني التوحيد

الاقتران بين الخوف والجوع في القرآن الكريم يدل على شمول الابتلاء وتنوعه بين ما يمس النفس (الخوف)، وما يمس الجسد (الجوع)، وكلاهما يكشف حدود قدرة الإنسان ويؤسس لمعنى العبودية لله. فالعبد حين يفقد الأمن أو القوت يتوجه بفطرته إلى خالقه، ما يجعل هذين الابتلاءين سبباً في تصحيح

مسار التوحيد وإزالة الغفلة والركون إلى الأسباب. قال الرازي (الرازي، تفسير الكبير، بدون سنة، 413/5). عند تفسير الآية في البقرة إن الله يبتلي عباده بالخوف والجوع ليظهر صدقهم ويزيد في تقواهم، كما أن في هذا الابتلاء تربية للنفس على التوكل والانكسار بين يدي الله تعالى. كما أن استخدام لفظ "لباس الجوع والخوف" في سورة النحل يُعبّر عن شدة الإحاطة بالابتلاءين، كأن الخوف والجوع يحيطان بالإنسان كما يحيط اللباس بجسده، وهو تعبير عن العقوبة التربوية التي تردع وتذكر، وتوجه الإنسان إلى الله (ابن كثير، 1999، 4/582).

ثانيًا: الاقتران في السياق التربوي: التهذيب لا الإهلاك

من أهم ما يستفاد من اقتران الخوف بالجوع في القرآن أنه ليس لإهلاك الإنسان بل لتأديبه وتهذيبه، ولتربية قلبه على الصبر والتسليم، فكما أن الجوع يربي الإنسان على القناعة والزهد، فإن الخوف يعلمه التعلق بالله وحده، ويهذب غروره بقوته وسلطانه.

وفي هذا السياق، يذكر الطبري أن المقصود من الابتلاء "بشيء" من الخوف والجوع هو التخفيف والرحمة، حتى لا يكون الابتلاء قاصمًا، بل تذكيرًا (الطبري، 2000، ج3، ص544). فالاقتران هنا يُعلم العبد أن الحياة لا تستقيم إلا بالتوازن بين الخشية والتوكل، وبين الرضا والكفاح، وأنه لا منجى من الخوف والجوع إلا باللجوء إلى الله، وفي هذا منهج تربوي قرآني عميق.

يؤكد اقتران الخوف بالجوع في القرآن على شمولية الابتلاء وحكمة التدرج فيه، ويُرسّخ مفاهيم التوحيد والافتقار إلى الله، ويُعزز القيم التربوية في النفس مثل الصبر، واليقين، والتوكل، وهو بذلك يشكل بناءً عقديًا وتربويًا مترابطًا يربط بين الجانب الروحي والسلوكي، ويعيد توجيه قلب الإنسان إلى مصدر الأمن والرزق الحقيقي، وهو الله تعالى.

2.2 أسباب الخوف والجوع في المنظور العقدي

إذا كانت النصوص القرآنية قد أبرزت الخوف والجوع باعتبارهما من سنن الابتلاء والتربية، فإنها كذلك قرنتهما بجملة من الأسباب العقدية التي تفسر وقوعهما على الأفراد أو المجتمعات، سواء في سياق التمحيص والاختبار أو في سياق الجزاء والعقاب. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية النظر في الخلفيات العقدية التي تسوّغ حصول الخوف والجوع، إذ يكشف القرآن الكريم عن هذه الأسباب من خلال عرض سنن الله جل جلاله في الخلق، وتوجيه المؤمنين إلى فهم ما يطرأ من الأزمات والأهوال فهمًا يرتبط بإرادة الله وعدله وحكمته.

وفي هذا المبحث، سنقف عند أبرز هذه الأسباب من خلال مطلبين:

الأول يتضمن الخوف والجوع من جهة كونهما ابتلاءً وتمحيصًا لحقيقة الإيمان وسلامة الفطرة، والثاني يسلط الضوء على الخوف والجوع من جهة كونهما جزاءً وعقوبةً إلهية لما ترتكبه المجتمعات من انحرافات وكفران بنعم الله تعالى.

2.2.2 الخوف والجوع ابتلاء وتمحيص في ضوء العقيدة الإسلامية

تمثل سنة الابتلاء أحد الأركان العقدية التي يؤمن بها المسلم، إذ قرر القرآن الكريم أن الابتلاء سنة جارية في حياة الإنسان، ووسيلة لتمحيص القلوب واختبار صدق الإيمان. ومن صور هذا الابتلاء ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة: 155، فقد صرحت الآية بأن الخوف والجوع ابتلاء إلهي مقصود، لا يعكس ضعف التدبير أو انعدام الرحمة، بل هو جزء من التقدير الإلهي لتمييز أهل الصبر واليقين.

وقد أكد المفسرون على هذا المعنى، فبين ابن كثير أن المقصود بالآية هو تنبيه المؤمنين إلى وقوع البلاء في هذه الأمور الدنيوية، ليتبين من يصبر ويحتسب من غيره، ولينال بذلك الثواب العظيم من الله تعالى (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 1/ 197)، وأشار الرازي إلى أن البلاء بالخوف والجوع وما يتبعها هو من جملة الابتلاءات التي تصقل نفس المؤمن وتربي فيه صفات الثبات والتسليم (الرازي، التفسير الكبير، د.ت، ج4، ص179).

وأما الزمخشري (الزمخشري، الكشاف، 2009، 1/ 225) فقد فسر هذه الآية من زاوية بلاغية، معتبراً أن الابتلاء بالخوف والجوع هو وسيلة لاختبار صدق المشاعر وتثبيت العزائم، وهو ما يعكس عمق حكمة الله في تربية عباده. كما أضاف البيضاوي (البيضاوي، أنوار التنزيل، 1998، 1/ 340) أن في هذا الابتلاء فرصة للإنسان ليعود إلى فطرته السليمة ويجدد إيمانه، مشيراً إلى أن هذه النعم تكون أحياناً سبب غفلة، فبالابتلاء يتم استيقاظ القلب وتنقيته.

ويمثل هذا الابتلاء جانباً من الرحمة الإلهية، إذ إن وجوده يحمل دلالة على عناية الله بعباده، فيجعلهم يراجعون أنفسهم، ويعودون إلى ربهم، ويتخلصون من التعلقات الدنيوية التي قد تفسد توحيدهم أو تضعف إخلاصهم. كما أن هذا الابتلاء وسيلة لتربية الإرادة وتهذيب النفس وتزكية الفطرة، إن العقيدة الإسلامية لا تنظر إلى الخوف والجوع في هذا السياق نظرة سلبية، بل تعدّهما محكاً إيمانياً يُظهر التفاوت بين الناس في الصبر والثقة بالله، كما يرفع درجات المؤمنين إذا أحسنوا التلقي والتعامل مع هذه الشدائد.

2.2.2 الأسباب القدريّة للخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية

إن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية، ويستلزم هذا الإيمان التسليم بأن ما يصيب الإنسان من الخوف أو الجوع هو من تقدير الله تعالى، وفق سننه الحكيمة في الكون والحياة. وتُعد هذه الأسباب القدريّة وجهاً من وجوه الابتلاء، أو نتيجة لأفعال الإنسان ومجتمعاته، مما يندرج تحت السنن الإلهية الجارية التي لا تحابي أحداً، بل تحقق العدل الإلهي وتُظهر حكمة الله في الخلق والتدبير.

أولاً: الخوف والجوع كسنة إلهية في الابتلاء العام

جاء التهديد الإلهي بالخوف والجوع في بعض آيات القرآن الكريم على سبيل العقوبة للمجتمعات التي أعرضت عن شرع الله، وجحدت نعمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ سورة البقرة: 155، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَعَّاهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (112) سورة النحل: 112، وقد فسر الزمخشري (الزمخشري، 2009، 476/2) "لباس الجوع والخوف" بأنه كناية عن شدة المعاناة التي أحاطت بهم من كل جهة، كإحاطة اللباس بالجسد، وفسر البيضاوي (البيضاوي، 3، 153/1991) هذه الآية بأنها عقوبة دنيوية بسبب الكفر وترك شكر النعم وفي ذلك إشارة إلى أن الخوف والجوع لا يقعان صدفة، بل لهما أسباب منبثقة من مخالفة منهج الله جل جلاله وفرض التوحيد، كما ذكر الرازي (الرازي، 20، 123/1999) أن هذه الآية تدل على أن الجوع والخوف عقاب معنوي ومادي يصيب الأمة إذا كفرت بأنعم الله جل جلاله. وهذا يرسخ في العقيدة الإسلامية أن الأمن الغذائي والنفسي مرتبط بتحقيق العبودية لله، وأن فقدانهما نتيجة متوقعة حينما يضيع الإيمان.

ثانياً: الخوف والجوع نتيجة الظلم والمعصية وفساد الإنسان

يُبين القرآن الكريم أن من أعظم أسباب حلول الخوف والجوع بالإنسان والمجتمعات: الظلم والانحراف عن أمر الله، إذ جعل الله تعالى الأمن رزقاً يُسلب بقدر ما يفسد الإنسان في الأرض ويعرض عن منهج الله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (112) سورة النحل: 112، فقد قرن الله بين الجوع والخوف كعقوبة دنيوية؛ فالآية تبيّن أن الأمن والرزق من نعم الله، وأن كفرانها - كفراً عملياً يتمثل بالمعاصي والفساد - يؤدي إلى زوالها، كما صرح بذلك الرازي (تفسير الكبير، 1999، 123/20)، والزمخشري (الكشاف، 1995، 494/2)، والسعدي (تيسير الكريم الرحمن، 2000، ص 434). والخوف والجوع ليسا مقتصرين على صور الفقر والمجاعة أو الخوف من السلاح، بل يشملان أيضاً الخوف الداخلي وعدم الطمأنينة، كما قرره البيضاوي (أنوار التنزيل، 1991، 157/4).

فإذا سادت المعصية، وتجراً الناس على حدود الله، أصيبوا في معاشهم وأمنهم، بما كسبت أيديهم، وهذه سنة إلهية لا تتخلف قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ سورة النساء: 79، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سورة الأنفال: 53، وبذلك يتضح أن الفساد الأخلاقي والظلم والاجترار على شرع الله جل جلاله من أعظم أسباب زوال الأمن ووقوع المجتمعات في الفتن والمحن.

ثالثاً: سُنّة التداول الحضاري والتغيير الاجتماعي

يشير القرآن الكريم إلى أن الخوف والجوع قد يكونان من مظاهر التحول الحضاري الناتج عن الانحراف العقدي والخلقي للأمم، وذلك ضمن سُنن إلهية عادلة تجري على المجتمعات كافة، حيث

تتبدل الأحوال نتيجة ما يقترفه الناس من ظلم وفساد. وقد ربطت آيات كثيرة بين العقوبات المجتمعية الجماعية، كالخوف والجوع، وبين انحراف الإنسان وابتعاده عن منح الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ⁽¹¹²⁾ سورة النحل: 112، إذ يوضح السياق أن هذه القرية عوقبت بالخوف والجوع بسبب كفرها بأنعم الله وفساد أهلها في السلوك والعمل، فهي سنة حتمية في المجتمعات حينما تُبدل النعمة كفرًا والصالح فسادًا (الطبري، جامع البيان، 2000، 363/14؛ الرازي، التفسير الكبير، 1999، 123/20).

وقد فسر الزمخشري (الزمخشري، الكشف، 1998، 2/ 623) هذه الآية بأن الخوف والجوع لباس لازم لهم، كناية عن الإحاطة والشمول، بسبب تبدلهم عن الشكر إلى الكفر، وذهب البيضاوي (البيضاوي، أنوار التنزيل، 2011، 276/3) إلى تأكيد أن هذا الابتلاء نتيجة مباشرة لما كانوا يصنعون من فجور وفساد.

وتتكرر هذه السنة في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ﴾ ⁽¹¹³⁾ سورة العنكبوت: 40، إذ تتجلى المسؤولية الجماعية في الوقوع تحت الابتلاء نتيجة الفساد العام. وهذا ما يؤكد أيضًا تفسير ابن كثير (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 278/6) إذ يقول: "إن الله يرسل العقوبات الجماعية حينما يعم الفساد وتضيع القيم"، وهو ما أشار إليه الطبري بنفس المفهوم الطبري، جامع البيان، 363/14). وهذا المعنى من سنن الله الثابتة في المجتمعات، يتكرر بصور مختلفة، ويؤسس لمبدأ عقدي مفاده أن الاستقرار مشروط بالإيمان، وأن الكفر والظلم يقودان إلى الخوف والجوع والاضطراب.

3.2.2 رؤية علماء الكلام والعقيدة لأسباب الخوف والجوع

شغل دراسة مفاهيم حيّزًا واسعًا في دراسات علماء الكلام والعقيدة، ممن اهتموا بتفسير الظواهر النفسية والكونية ضمن الأطر العقدية الكبرى. وقد أدرج هؤلاء العلماء الخوف والجوع ضمن سنن الله جل جلاله في الابتلاء والتمحيص، وناقشوا علل وقوعهما من زاوية عدالة الله، وحكمته، وخلق الأفعال، واستحقاق العقوبة والثواب. وتنوعت تفسيراتهم بحسب انتماءاتهم العقدية (معتزلة، ماتريدية، أشاعرة)، مما يعكس ثراء الفكر العقدي الإسلامي في تحليل هذه المفاهيم القرآنية.

أولاً: الخوف والجوع في ضوء المدرسة الماتريدية – أبو منصور الماتريدي

يرى أبو منصور الماتريدي (ت 333هـ) (الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الفرقان، ط 1، 2005م، 1/ 327) في تفسيره تأويلات أهل السنة أن الخوف والجوع من جملة ما يقدّر الله من البلاء لحكم إلهية، أبرزها: تربية النفوس، وتمحيص الإيمان، وتذكير العبد بعجزه وفقره إلى الله. وهو

يربط بين الخوف كابتلاء وضرورة رجوع الإنسان إلى خالقه، مؤكداً أن الابتلاء لا يكون عن عبث، بل ضمن علم الله وعدله.

وقد فسر الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ سورة البقرة: 155، بأنها تتضمن تأديباً وتربية عقدية للإنسان، تدفعه إلى التوكل على الله، والصبر، والرجوع إليه بالعبودية. يقول: "إن الله يبتلي عباده ليظهر صدقهم في الإيمان، ويميز من يشكر عند البلاء، ومن يكفر، فالمؤمن لا يتزعزع إيمانه بالخوف ولا بالجوع، بل يزداد يقيناً وتوكلاً".

ثانيًا: تفسير القاضي عبد الجبار - المدرسة المعتزلية

ينتمي القاضي عبد الجبار الهمداني (ت 415هـ) إلى المدرسة المعتزلية، ويُعد من أبرز من تناول قضية الجزاء والعقاب في ضوء أفعال العباد، يقرر (عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، 1979م، ص 341) أن الخوف والجوع قد يكونان من باب العقاب الإلهي العادل، أي نتيجة لما تقتضيه المجتمعات من كفران، ومعاصي، وفساد. ويؤكد أن العدل الإلهي يقتضي أن تكون الأفعال مربوطة بالأسباب، فإذا جاع قوم أو خافوا، فذلك بسبب أعمالهم لا محالة، لأن الله لا يعذب إلا من يستحق. يقول: "البلاء لا يكون إلا لحكمة، وإن أكثر أسبابه تعود إلى العصيان والظلم، والجوع والخوف من أبرز مظاهر العقوبة الجماعية".

ثالثًا: القاضي الباقلاني ورؤية المدرسة الأشعرية

يمثل القاضي الباقلاني (ت 403هـ) التيار الأشعري الذي يؤمن بخلق الله لأفعال العباد، ويرى (الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة، 1987م، ص 198) أن الخوف والجوع جزء من قضاء الله النافذ، وأنها وسيلتان لتحقيق مقاصد عليا كتمحيص الإيمان، والتذكير، ودفع الإنسان للتوكل. في كتابه التمهيد، يبين أن البلاء بالخوف أو الجوع لا يُقاس دومًا على معيار الذنب، بل قد يرسله الله لحكم لا يعلمها العباد، فيبقى الواجب هو التسليم والرضا. يقول: "ما يُصيبه من خوف أو جوع، فإنما هو تحت إرادة الله، لحكمة هو أعلم بها، وقد يكون في الظاهر عذابًا، وفي الباطن نعمة".

رابعًا: مقارنة بين الرؤى الكلامية: (ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 1999م، 5/ 23)

المدرسة	تفسير الخوف والجوع	العلاقة بالأفعال
الماتريدية	ابتلاء وتمحيص إيماني	خلق الله لحكمة، لا يوجب العقوبة بلا سبب
المعتزلة	عقوبة عادلة	الخوف والجوع نتيجة مباشرة لأفعال العباد
الاشاعرة	قضاء إلهي لحكمة قد لا تدرك	الله يخلق الأفعال، والعبد مسؤول في حدود تكليفه

خامسًا: تأملات عقدية

تُظهر هذه الرؤى أن الخوف والجوع ليسا مجرد حالتين نفسييتين أو اجتماعيتين، بل هما جزء من نظام عقدي متكامل في تفسير العلاقة بين الإنسان وربّه. والمشارك بين هذه المدارس هو ربط الخوف

والجوع بالابتلاء والتربية والعدل الإلهي، وإن اختلفوا في ضبط علاقة السبب بالمسبب، وفعل العبد بإرادة الله (الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، د.ت، ص 210).

مما سبق يتبين أن مفهومي الخوف والجوع في القرآن الكريم ليسا مجرد حالتين نفسيّتين أو ماديتين، بل هما من المفاهيم المحورية التي ترتبط بمنظومة العقيدة الإسلامية، وتشكلان مظهرًا من مظاهر ابتلاء الإنسان وتهذيبه. وقد أظهر التحليل القرآني أن الخوف المشروع هو ما كان نابغًا من تعظيم الله وخشيته، أما الجوع فغالبًا ما يأتي في سياق الابتلاء أو العقوبة، مما يدل على تداخلهما في بناء وعي الإنسان بالله، وبتقديره لسننه في الكون.

وقد استعرض الفصل أيضًا الأسباب العقدية التي تفسر وقوع الخوف والجوع، سواء من جهة كونهما ابتلاءً وتمحيصًا للإيمان، أو من جهة كونهما جزاءً إلهيًا على الانحراف والكفران. كما أبرز مساهمات علماء الكلام والعقيدة في تحليل هذه الظواهر، حيث تفاوتت رؤاهم في ربط الخوف والجوع بإرادة الله وأفعال العباد، بين تفسير يقوم على العدل والاستحقاق (المعتزلة)، أو على القضاء والتمحيص (الأشاعرة والماتريدية). وهذا التنوع في الرؤى يثري الفهم العقدي لهذين المفهومين، ويؤكد على مركزية العقيدة في تفسير الظواهر الإنسانية الكبرى، ويُمدّد للبحث في الآثار السلوكية والتربوية المترتبة على فهم الخوف والجوع في ضوء العقيدة، وهو ما سيتناوله الفصل التالي من الدراسة.

3. الخوف والجوع في ضوء الإيمان: الأثر النفسي والاجتماعي للعقيدة الإسلامية

تُعدّ العقيدة الإسلامية مرجعًا أساسيًا في توجيه نظرة الإنسان للوجود وتعاطيه مع الابتلاءات، وفي مقدمتها الخوف والجوع، لما لهما من أثر بالغ في زعزعة النفس والمجتمع. ولا تنظر العقيدة إلى هذين الابتلاءين كظواهر عابرة، بل تُقدّم معالجة إيمانية متكاملة، تُرسّخ الطمأنينة والصبر، وتدفع نحو التضامن والتكافل. ويهدف هذا الفصل إلى بيان الدور النفسي والاجتماعي للعقيدة الإسلامية في مواجهة آثار الخوف والجوع، من خلال إبراز معاني التوكل والرضا في النصوص، واستعراض نماذج قرآنية تُجسد ثبات المؤمنين أمام المحن، مما يُبرز البعد العملي للعقيدة في بناء إنسان مرن قادر على تجاوز الأزمات.

1.3 الأثر النفسي للعقيدة الإسلامية في مواجهة الخوف والجوع

عند حلول الأزمات وانتشار مظاهر الخوف والجوع، يتعرض الإنسان لاضطرابات نفسية قد تهدد استقراره الذاتي وصلته بمحيطه. وهنا تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية، التي لا تقف عند حدود التوجيه الروحي، بل تسهم في تعزيز التوازن النفسي، يستمد قوته من الإيمان بالله واليقين بحكمته.

1.1.3 الطمأنينة النفسية في ظل الإيمان والتوكل

إنَّ الإيمان بالله تعالى وما يتبعه من توكل عليه والركون إليه يمثل أساس الطمأنينة النفسية في حياة الإنسان، لا سيما في أوقات الشدة كالجوع والخوف. فالعقيدة الإسلامية ترسي في قلب المؤمن يقينًا بأنَّ ما يصيبه لم يكن ليخطئه، وأنَّ كل ما يجري في الكون هو بتقدير الله وحكمته، مما يبعث في النفس السكينة والرضا ويُضعف مشاعر القلق والاضطراب. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (28) سورة الرعد: 28، فالطمأنينة هنا نتيجة مباشرة للإيمان الصادق والاتصال بالله جل جلاله.

وقد درس علماء العقيدة هذه المسألة بوصفها من لوازم التوحيد الحق، إذ يرى أبو منصور الماتريدي (الماتريدي، كتاب التوحيد، 135، 1970-137) أنَّ علم الله المحيط وتديره للخلق يوجب على العبد طمأنينة وثقة لا تززعها الحوادث، وهو من مقتضيات "التسليم لله" في توحيد الربوبية. كما يذهب القاضي عبد الجبار (القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، 274-276) إلى أنَّ الإيمان يعدل الله ورحمته يعين على تحمّل المكروه والشدائد دون جزع أو سخط، لأنَّ العبد يعلم أنَّ ما يجري عليه هو بعلم الله وصواب تقديره.

ويرى الفخر الرازي (الرازي، التفسير الكبير، 226/30) أنَّ التوكل مقام عالٍ من مقامات أهل الإيمان، ولا يتم إلا بتحقيق القلب بمعاني التوحيد، إذ إن من يعتقد أنَّ الله هو الرازق والناصر لا يجد في قلبه خوفًا من المخلوقين أو اضطرابًا من نوائب الحياة. وهذا المعنى يتضح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ سورة الطلاق: 3، أي أنَّ الله كافيه، وكفايته هذه تبعث الأمن في القلب وتقي من التششت النفسي. وهكذا، فإن الطمأنينة في مواجهة الخوف والجوع ليست حالة نفسية عابرة، بل ثمرة مباشرة لعقيدة راسخة في قلب المؤمن، وتوحيد خالص يورث الرضا والتسليم والسكينة.

2.1.3 الصبر والرضا في مواجهة الشدائد

يتجلّى الأثر النفسي العميق للعقيدة الإسلامية في تمكين الإنسان من الصبر والرضا عند مواجهة الشدائد، كالجوع والخوف وسائر الابتلاءات، إذ يُعدّ الصبر من أعظم الخصال التي دعا إليها القرآن الكريم، وقرنها الله بالهداية والرحمة، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿156﴾ سورة البقرة: 155-156، كما قرن الله جل جلاله الصبر بالتقوى فقال تعالى: ﴿نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿59﴾ سورة العنكبوت: 58-59، ويُعدّ الرضا مرتبةً أسمى من الصبر، يدل على الطمأنينة النفسية واليقين بقدر الله. وقد ورد في الحديث الصحيح: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا» (البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد،

رقم الحديث: 6850)، مما يبيّن أن العقيدة الإسلامية تربي المؤمن على مواجهة المكاره بالتسليم واليقين، لا بالجزع واليأس.

وقد فسّر علماء التفسير الصبر هنا بأنه يشمل الصبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى البلاء، وهو يشكّل ركنًا في ثبات النفس وقت الشدائد. وذكر الفخر الرازي (الرازي، التفسير الكبير، 1999، 115/7) أن الصبر "عبادةٌ بدنية لا تظهر إلا عند المصائب، وهي من علامات الإيمان الكامل."

أما علماء الكلام، فقد ركّزوا على العلاقة بين الرضا والإيمان بالقضاء والقدر، وبين القاضي عبد الجبار (القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 547) أن "الرضا فرع عن العلم بعدالة الله وحكمته في أفعاله"، وهو مظهرٌ من مظاهر تسليم القلب لعقيدة التوحيد. وذهب أبو منصور الماتريدي (الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 2005، 219/3) إلى أن الرضا من ثمار معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأنه لا يصدر إلا من قلبٍ واثق بعدله وتديره الحكيم. وهكذا يتبين أن العقيدة الإسلامية تعزّز في النفس الإنسانية القدرة على تحمّل الشدائد، وتكسيها طاقة نفسية وروحية تجعل الخوف والجوع مجرد اختبار يرقى بالإنسان في مدارج الإيمان.

3.1.3 أثر العقيدة في تجاوز القلق والاكتئاب الناتج عن الخوف والجوع

أنّ العقيدة الإسلامية من أبرز مصادر التوازن النفسي التي تساعد الإنسان على تجاوز الأزمات النفسية كالقلق والاكتئاب، والخوف من المجهول أو الجوع أو فقدان الأمن هي من مصادرها الأساسية على وجه التحديد. فالإيمان بأن الله جل جلاله هو الرزاق الحفيظ، وأن كل ما يصيب الإنسان من مصيبة فهو بتقدير الله جل جلاله وحكمته، يُكسب المؤمن طمأنينة ورضا، ويبعده عن الاضطراب والانهيار النفسي.

وقد نصّت آيات كثيرة على دور الإيمان والرجوع إلى الله تعالى في تحقيق الاستقرار النفسي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ سورة التغابن: 11، قال الطبري (الطبري، جامع البيان، 2001، 365/23) "أي يوفقه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيسكن قلبه ويطمئن، ويَرْضَى عن الله بقضائه". وهذا المعنى يؤكدُه أيضًا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (28) سورة الرعد: 28، وهي إشارة إلى أن الإيمان والذكر يمنعان القلق النفسي، بل ويؤسسان للسكينة النفسية وسط الاضطرابات.

كما أن العقيدة الإسلامية تُعلّم المسلم أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الصبر والاحتساب طريق النجاة، مما يعزز في نفسه معنى الأمل والثقة، وبقية من الاستسلام لمشاعر الحزن المفرط واليأس القاتل. يقول الرازي (الرازي، التفسير الكبير، 1999، 130/4) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴿١٠﴾ "إنما قدّم الخوف والجوع لأنهما أشد ما يؤثر في النفس، فجعل الابتلاء بهما اختباراً لصبر العبد وثباته على الإيمان."

وقد تناول علماء العقيدة هذا الجانب بوضوح، فبينوا أن الإيمان بالله وصفاته يزرع في النفس الاطمئنان، وأن من فَقَدَ العقيدة الصحيحة يسهل وقوعه في القلق والحيرة، كما أشار إلى ذلك أبو الحسن الأشعري (أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، د.ت، 15) في "مقالات الإسلاميين"، حيث فرق بين أهل الحق الذين يُرجعون الأمور إلى الله، وأهل البدع الذين تشتّت بهم السبل. وكذلك نجد عند الماتريدي (الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 2005، 144/2). في "التأويلات" أن إدراك حكمة الله في الابتلاء يبعث على التسليم، مما يُبعد عن الاضطراب النفسي. ومن هنا، فإن الأثر العلاجي للعقيدة لا يقتصر على الوقاية، بل يتعداه إلى معالجة المشاعر السلبية، وهو ما تشير إليه الدراسات النفسية المعاصرة في ميدان الإيمان والصحة النفسية، حيث تبيّن أن المتدينين أقل عرضة للاضطرابات النفسية عند الأزمات، مقارنة بغيرهم.

2.3 الأثر الاجتماعي للعقيدة الإسلامية في مواجهة الخوف والجوع

تُسهّم العقيدة الإسلامية في بناء مجتمع متماسك يُواجه الأزمات بروح الإيمان والمسؤولية، ويبرز أثرها الاجتماعي في تعزيز التكافل، وبتّ الثقة بين أفرادها، وتقديم نماذج عملية للتعامل مع الشدائد، ويتضمن المبحث دراسة ثلاث مطالب وفقاً لما يأتي :

1.2.3 العقيدة أساس التضامن والتكافل في الأزمات

تُعدّ العقيدة الإسلامية الركيزة الأولى التي تُبنى عليها الأخلاق والسلوكيات الاجتماعية، ومنها سلوك التضامن والتكافل في أوقات الأزمات. فالعقيدة لا تكتفي بتقرير الإيمان المجرد، بل توجّه الإنسان إلى ترجمة إيمانه في سلوكه مع الآخرين، خصوصاً في الظروف التي تسودها مشاعر الخوف أو الجوع، كالحروب أو المجاعات أو الكوارث الطبيعية. وينبع هذا التوجّه من مبدأ المسؤولية الجماعية الذي تقرره العقيدة الإسلامية، حيث يشعر المؤمن أن عليه واجباً شرعياً تجاه مجتمعه، ينبثق من علاقته بالله أولاً، ثم من انتماؤه إلى جماعة المسلمين ثانياً.

وتتجلى هذه المعاني في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَصَّيْنَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ سورة الإنسان: 8، ففي هذه الآية مدح الله جل جلاله عباده الذين يقدمون الطعام لغيرهم مع شدة حاجتهم إليه، مما يدل على استعلاء إيماني يدفع إلى التضحية في سبيل الآخر (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 270/8)، كما يظهر البعد العقدي في التكافل من خلال قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ سورة الحجرات: 10،

فالأخوة الإيمانية تقتضي مواساة بعضهم في الضرورات، وتقديم العون في مواضع الضعف والحاجة (الطبري، جامع البيان، 2000، 254/22). وفي الحديث النبوي الشريف: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (حديث صحيح، رواه مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1955، كتاب البر والصله، رقم الحديث: 2586)، فهذا التصوير النبوي يربط بين العقيدة والسلوك الاجتماعي، ويجعل من التكافل مظهرًا من مظاهر الإيمان الجماعي.

وقد شددت العقيدة الإسلامية على أن التكافل ليس خيارًا أخلاقيًا فقط، بل هو فريضة تُحاسب الأمة عليها، قال تعالى: ﴿فَكَرَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14)﴾ سورة البلد: 13-14، أي في يوم شدة وجوع، وقد قرن ذلك بسبل النجاة والفكاك من عذاب الله تعالى، مما يدل على البعد العقدي في إطعام الجائعين (الرازي، التفسير الكبير، د.ت، 93/31). وعليه، فإن العقيدة تُنتج مجتمعًا واعيًا بأزماته، متماسكًا في لحظات الانهيار، يرى في مساعدة الفقير وإغاثة الخائف والجائع عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، لا مجرد إحسان دنيوي.

إن التأمل في النصوص العقدية يُظهر أن التكافل ليس سلوكًا طارئًا تمليه الظروف، بل هو مبدأ أصيل ينبثق من طبيعة التوحيد، إذ تتجاوز العلاقة بالله حدود الفرد إلى محيط المجتمع. فالمسلم لا يمكنه أن يحقق تمام الإيمان إلا بأن يكون جزءًا من شبكة إيمانية واسعة، تتفاعل في السراء والضراء، وتبني على أساس الولاء الإيماني. ومن ثم، فإن الخوف والجوع حين يهددان المجتمعات، تُصبح العقيدة هي الضامن الأول لاستمرار الروح الجماعية، ودافعًا لتجاوز الأنانية والانزهاج النفسي.

2.2.3 دور الإيمان في تعزيز الثقة المجتمعية وتجاوز الاضطرابات

الإيمان بالله تعالى لا يقتصر على الاعتقاد النظري، بل ينعكس أثره في استقرار الفرد والمجتمع، لا سيما في أوقات المحن التي تهدد الأمن النفسي أو المعيشي، مثل الخوف والجوع. فعندما يؤمن الإنسان بأن ما يصيبه من ضرر أو نقص هو بقدر الله وحكمته، تزول مشاعر الهلع، ويحل محلها الرضا واليقين، مما ينعكس إيجابًا على السلوك الجماعي والتماسك المجتمعي.

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ سورة التغابن: 11، فال مؤمن حين يتعرض للبلاء، يثبت ويهدأ، ويكون أكثر قدرة على بث الطمأنينة في محيطه، مما يخفف من اضطراب الجماعة ويحول دون تفككها في الأزمات (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 178/8). وقد أشار علماء العقيدة إلى هذا المعنى، فعَدَّوا الإيمان بالقدر أصلًا في ضبط النفس عند الشدائد، وسببًا في الاتزان الاجتماعي. يقول الإمام الماتريدي (الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 2005، 219/3) "في التسليم لله تعالى راحة القلب، واطمئنان النفس، لأن العبد

إذا علم أن الأمر كله لله، لم يجزع عند الفقد، ولم يطع عند الوجد". وتظهر الثقة المجتمعية في أوقات الشدة، حيث يتوصى الناس بالصبر، ويتكافلون بدافع ديني لا مجرد عاطفة بشرية. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، ...إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (رواه مسلم، صحيح مسلم، د.ت، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: (2999)، وهو ما يعكس توازنًا داخليًا في الفرد، يُثمر انسجامًا مجتمعيًا يُخفف من آثار الخوف والجوع.

إن المجتمع المؤمن يتجاوز الأزمات بقدرة مادية وقوة إيمانية تُعيد ترتيب الأولويات وتُنشئ روح التضامن. فالإيمان يربط القلوب بالله تعالى، ويجعلها أكثر طمأنينة في مواجهة الفقد والحرمان، مما يُضعف مظاهر الأنانية والانهيار الجماعيين، وفي هذا يتجلى أثر العقيدة في تحويل الخوف إلى ثبات، والجوع إلى عطاء، والاضطراب إلى سكينة.

3.2.3 النماذج المجتمعية في القرآن والسنة في مواجهة الخوف والجوع

يعرض القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج حية لمجتمعات إيمانية واجهت أزمات الخوف والجوع بروح العقيدة، فلم يكن التعامل مع الشدة عشوائيًا أو غريزيًا، بل مؤطرًا بتوجيه عقدي يضع مبادئ التوكل، الصبر، والتكافل. فهذه النماذج ليست مجرد وقائع تاريخية، وإنما إشارات ربانية إلى كيفية تفعيل الإيمان في الأزمات الجماعية.

ومن أبرز هذه النماذج قصة نبي الله يوسف عليه السلام، التي عرضت نموذجًا لبلد تعرض لخطر المجاعة، ففيها وُضعت خطة اقتصادية متكاملة نابعة من الوحي، وتم تنفيذها بثقة مجتمعية كاملة، يقول تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ۚ﴾ سورة يوسف: 55، فكان الإيمان أساس التفويض، والعلم والعمل الصالح أساس النهوض (الطبري، جامع البيان، 13، 77/2000). وقد أشار الإمام البيضاوي (البيضاوي، أنوار التنزيل، د.ت، 3/216) في تفسيره إلى أن يوسف عليه السلام جمع بين الدين والسياسة والاقتصاد بروح إيمانية، فقد ربط إدارة الأزمات بأمانة العقيدة وحكمة التوحيد.

وفي سياق آخر بين الله تعالى قصة أصحاب الأخدود، إذ يظهر مجتمع إيماني تعرض لأقصى صور التهيب والقتل جوعًا وحرقًا، ومع ذلك ثبت على عقيدته، يقول تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سورة البروج: 8، وهو ما يمثل أعلى صور الصمود المجتمعي في وجه الخوف القاتل، استنادًا إلى قوة الإيمان (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 8/384). أما في السنة النبوية، فقد روى الصحابة رضي الله عنهم عن أوقات مجاعة أصابت المدينة المنورة، ومع ذلك ظهر التضامن المجتمعي، كما في حديث: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُزِدْهُمَا بِنَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ

أربعةً فليذهب بخامسٍ أو سادسٍ» (مسلم، صحيح مسلم، د.ت، كتاب الأشربة، حديث رقم: (2056)، وقد علّق الإمام القشيري (القشيري، لطائف الإشارات، 1، 311/2000) بأن هذا الفعل ليس إحساناً فقط، بل هو انعكاس لمبدأ "الوجود للغير" الذي يترتب عليه المؤمن ضمن المنظومة العقدية، كما علّق النيسابوري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ ۝٣﴾ (٣) إِلَٰهَ أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ سورة قريش: 3-4، أن الجمع بين الإطعام والأمن إشارة إلى أن المجتمعات المؤمنة تُرزق الاستقرار حين تُقيم التوحيد عملياً، لا شكلياً (النيسابوري، غرائب القرآن وרגائب الفرقان، 1996، 498/5).

إن النماذج التي يعرضها الوحي الشريف تُظهر أن مواجهة الخوف والجوع ليست مسألة تنظيم إداري فقط، بل مسؤولية إيمانية تتجذر في المجتمع الذي يعي العقيدة لا كمجرد شعائر، بل كمنهج وجود. وقد قدمت هذه النماذج دروساً في القيادة الواعية، والتماسك الجماعي، والانضباط النفسي، وكلها مستندة إلى بُعد عقدي يجعل الفرد مستعداً للتضحية، والمجتمع قادراً على النهوض. يتضح من خلال المطالب السابقة أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد منظومة عقدية موجهة للفرد، بل هي أساس في بناء الوعي الجماعي الذي يتجلى في مواجهة الأزمات الكبرى كالخوف والجوع. فقد قررت العقيدة مبدأ التكافل والتضامن باعتباره واجباً دينياً متجذراً في التوحيد، لا مجرد سلوك أخلاقي عابر، وهو ما يجعل المجتمع المؤمن قادراً على الصمود في الأزمات.

كما بيّن المطلب الثاني أن الإيمان يعزز الثقة المجتمعية، ويُضعف الاضطراب والهلع، من خلال ترسيخ مفاهيم الرضا بالقدر، والتسليم لحكمة الله، مما يمنح الأفراد توازناً نفسياً، ويمنع التشرذم الاجتماعي عند المحن. ثم أظهر المطلب الثالث أن النماذج القرآنية والنبوية قدّمت تطبيقات عملية لتفعيل العقيدة في مواجهة الخوف والجوع، حيث جسدت مجتمعات إيمانية متماسكة، تجاوزت الشدائد بقوة التوحيد، وبقيادة مؤمنة ربطت بين الغيب والواقع. وبذلك، يتبين أن العقيدة الإسلامية تملك قدرة تكوينية على تحويل الأزمات إلى مواطن بناء إيماني واجتماعي، تنطلق من الفرد، وتثمر في الجماعة.

4. الأمن العقدي بين النظرية والتطبيق في ضوء الخوف والجوع

ومما سبق في الفصول السابقة من دراسة مفصلة لمفاهيم الخوف والجوع من الناحية العقدية والنفسية والاجتماعية، يتوجه هذا الفصل إلى استكشاف مفهوم الأمن العقدي، وموقعه بين النظرية والتطبيق في الواقع العملي، خاصة في مواجهة ظاهرتي الخوف والجوع. إذ لا يكفي مجرد وجود المفهوم النظري في النصوص الشرعية، بل يجب أن يظهر أثره عملياً في حياة الأفراد والمجتمعات، خصوصاً في ظل التحديات المعاصرة. لذلك، سنناقش في هذا الفصل الفجوة بين مفهوم الأمن العقدي من جهة،

والواقع المعيشي من جهة أخرى، مع تسليط الضوء على الأسباب والعوامل التي تؤثر على تطبيق هذا الأمن، وإمكانات تعزيز الواقع بما يتوافق مع جوهر العقيدة الإسلامية.

1.4 المفهوم النظري للأمن العقدي وأسس تحقيقه

يرتكز الأمن العقدي في جوهره على توحيد الله تعالى ربًا ومدبرًا للكون، وعلى اعتقاد العبد بقضاء الله وقدره، ما يهيئ له استقرارًا نفسيًا وروحيًا لا يتزعزع أمام مخاوف الحياة ومشقاتها. ويتجلى هذا الأمن في سكينة القلب واطمئنان النفس، وهو نتيجة حتمية للإيمان بالله وحده، وثقة العبد برؤيته ورحمته وحكمته. في هذا المبحث، سيتم استعراض الأطر النظرية التي تُحدّد مفهوم الأمن العقدي، مبينين أصوله العقدية الأساسية، والعوامل التي تقوم عليها بنيته، مستندين إلى المصادر الإسلامية من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، دون التكرار لما تم شرحه سابقًا. كما سنبيّن كيف يُعتبر الأمن العقدي حجر الأساس الذي يضمن للمؤمن الاستقرار النفسي والاجتماعي في مواجهة مخاوف الخوف والجوع.

1.1.4 التصور العقدي للأمن في ضوء التوحيد

يرتكز التصور العقدي للأمن في الإسلام على مبدأ التوحيد، الذي يُعدّ جوهر العقيدة وأساس الإيمان، وهو الإطار الذي يُفسّر من خلاله مفهوم الأمن بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والسياسية. فالإيمان بأن الله وحده هو الخالق المدبّر والرازق النافع الضار، يُنتج في نفس المؤمن طمأنينة و يقينًا، ويُزيل مشاعر الخوف والقلق التي ترتبط غالبًا بالشرك أو ضعف التوكل. وقد ربط القرآن الكريم بين التوحيد والأمن في آيات واضحة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ﴾ (82) سورة الأنعام: 82، فقد فسّر جمهور المفسرين "الظلم" هنا بالشرك، مما يدل على أن الأمن ثمرة من ثمار التوحيد الخالص لله تعالى (الطبري، جامع البيان، 1992، 284/8).

ويُفهم من هذا النص أن الأمن العقدي لا يتحقق إلا حينما يسلم القلب من الشرك، ويستقر فيه الإيمان الكامل بوحداية الله سبحانه. وهذا ما أكدّه النبي ﷺ حين قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: «ليس كما تظنون؛ إنّما هو الشُّركُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» (13) سورة لقمان: 13 (حديث صحيح، البخاري، صحيح

البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، رقم الحديث: 4776). من هنا، فإن التوحيد لا يمنح الإنسان فقط معرفة صحيحة بالله، بل يوفر له شعورًا بالطمأنينة والاستقرار، لأن المؤمن يوقن بأن الله هو الحافظ والمعين، وأن ما يصيبه لم يكن ليخطئه. وهذا الإيمان ينعكس على الأمن الذاتي والاجتماعي والسياسي، إذ إن الفرد الذي يثق بالله يكون أقل اضطرابًا، وأكثر التزامًا بالعدل، مما يسهم في استقرار المجتمع (الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، 212/13).

إن التصور العقدي للأمن في الإسلام ليس نظرياً منفصلاً عن الواقع، بل هو تصور شامل ينبني على توحيد الله وعبادته وحده، وبه يتحقق الأمن الحقيقي، لا سيما في النفوس والضمائر، قبل أن يظهر أثره في المجتمعات والدول.

2.1.4 مقومات الأمن العقدي في ضوء النصوص الشرعية

يمثل الأمن العقدي ركيزة جوهريّة في البناء الإيماني للفرد والمجتمع، ويستند إلى جملة من المقومات التي قررتها النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعد هذه المقومات بمثابة الأسس التي تُبنى عليها حالة الأمن الشامل، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان الحق، والاستقامة على المنهج، والاعتصام بالله تعالى.

تشير الآيات القرآنية إلى أن الإيمان والتقوى هما أساس الأمن العقدي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿82﴾ سورة الأنعام: 82، وقد فسر جمهور المفسرين "الظلم" في الآية بالشرك، فالمؤمنون المخلصون الموحدون هم أهل الأمن الحقيقي في الدنيا والآخرة، وهو أمن نابع من صفاء العقيدة ووحدة الاتجاه إلى الله تعالى (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، 2/237).

ومن المقومات المهمة للأمن العقدي الطاعة والامتثال لأوامر الله ورسوله، إذ جعل الله الطاعة سبباً للأمن والنجاة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿63﴾ سورة النور: 63، فالمخالفة لأمر النبي ﷺ تهدد أمن الفرد والمجتمع؛ لأن مصدر الهداية والاستقرار مرتبط بالاتباع لا الابتداع.

ويأتي الاعتصام بالله وبكتابه وسنة نبيه ثالثاً من أبرز مقومات الأمن العقدي، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ﴿103﴾ سورة آل عمران: 103، فالوحدة على العقيدة والتمسك بحبل الله الممدود هو سبيل النجاة من الفرقة والفتنة، ومن ثم سبيل إلى تحقيق الأمن بكل صوره، ومن السنة النبوية، يظهر ارتباط الأمن بالإيمان بشكل واضح، كما في الحديث «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنه حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب، الترمذي، السنن، 1996، كتاب الزهد، باب في القناعة، حديث رقم: 2346)، فالأمن في النفس والمجتمع نعمة كبرى لا تنفك عن الإيمان والطاعة. وخلاصة القول إن الأمن العقدي لا يتحقق إلا على أساس من الإيمان الخالص، والطاعة الواعية، والاعتصام بالله، وهي جميعاً مظاهر لمركزية العقيدة الإسلامية في تنظيم الحياة وتحقيق الاستقرار الشامل.

3.1.4 معوقات تحقق الأمن العقدي في الواقع المعاصر

رغم ما يشكّله الأمن العقدي من دعامة أساسية لاستقرار الفرد والمجتمع، إلا أن تحقيقه في الواقع المعاصر يواجه جملةً من المعوقات المتشابهة، يمكن تصنيفها إلى أسباب فكرية ونفسية واجتماعية، فمن الجانب الفكري، يُعد ضعف التصوّر العقدي السليم من أبرز العوائق؛ إذ يعاني كثير من الناس من ضبابية في فهم أصول الإيمان، ومفاهيم التوحيد، وغياب التصوّر الشمولي للعقيدة، مما يؤدي إلى اضطراب في الموقف من قضايا الإيمان والكفر، والولاء والبراء، وغيرها من المفاهيم المؤسسة للأمن العقدي. ويُضاف إلى ذلك التأثير بالمذاهب الفكرية الحديثة، كالعلمانية والإلحاد، والتي تسهم في تقويض مرجعية الوحي، واستبدالها بمرجعية بشرية متقلبة، ما يولّد قلقاً واضطراباً وجودياً لدى الإنسان المعاصر (أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، 2007، 95).

أما من الناحية النفسية، فإن الشعور بالفراغ الروحي وضعف الارتباط بالله تعالى، يؤدي إلى ضياع البوصلة العقدية، وعدم الثبات على القيم، وهو ما يُنتج هشاشة في مواجهة الأزمات. وقد نبّه القرآن الكريم إلى هذا الاضطراب، وقرنه بضعف التوكل والاعتصام بالله (الرازي، التفسير الكبير، دت، 109/7)، كما في

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ سورة التغابن: 11، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ سورة الأنعام: 82، وعلى الصعيد الاجتماعي، تبرز عوامل متعدّدة، منها غلبة الثقافة المادية، وتضخيم مفاهيم الحرية الفردية المنفلتة من الضوابط الشرعية، وتفشي وسائل الإعلام غير المنضبطة، والتي تُروّج أنماطاً من التفكير والسلوك تُضعف الأمن العقدي، من خلال تشويه رموز الدين، أو نشر الشبهات، أو تسفيه الالتزام الديني. كما أن غياب البيئة التربوية والتعليمية التي تُعزز التصوّر العقدي الصحيح في المدارس والجامعات ساهم في تعميق هذه الفجوة (محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، 1982، 42).

وتتجلّى مظاهر الانفصال بين التصوّر العقدي والسلوك الواقعي في صور كثيرة، مثل التناقض بين ما يؤمن به الناس نظرياً من مفاهيم التوحيد والربوبية، وما يمارسونه من خضوع عملي لغير الله تعالى، أو تعلقهم بالأسباب وترك التوكل عليه جل جلاله، أو الخوف من المخلوق أكثر من الخوف من الخالق. ولمعالجة هذه التحديات، تبرز الحاجة إلى إعادة ترسيخ العقيدة في النفوس من خلال التعليم الراسخ، والدعوة الواعية، وربط العقيدة بالسلوك اليومي، واستثمار وسائل الإعلام في بناء الأمن العقدي، وتفعيل دور العلماء والمربين في توجيه الجيل نحو الثبات العقدي والفكري.

2.4 معالجة اختلال الأمن العقدي في ضوء العقيدة الإسلامية

1.2.4 تعزيز التوحيد في البناء النفسي والفكري للفرد

أولاً: أثر ترسيخ عقيدة التوحيد في تحصين النفس من الاضطراب والخوف

يُعد التوحيد أساسًا مركزيًا في البناء النفسي للمسلم، إذ يُغرس في قلبه الشعور بالعناية الإلهية والرعاية الربانية، فيتولد عن ذلك طمأنينة داخلية تحصنه من القلق والخوف غير المشروع. وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والأمن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (82) سورة الأنعام: 82، والمراد بالظلم هنا الشرك، كما فسرتة السنة. فالآية تُظهر أن التوحيد الخالص يُورث الأمن النفسي والقلبي، ويُزيل مظاهر الاضطراب الناتجة عن التعلق بال مخلوقات أو الخوف منها. ويؤكد علماء العقيدة أن التوحيد لا يمنح المسلم فقط يقينًا في وجود الله، بل يربط مشاعره وتصرفاته بمصدر مطلق للقدر والحكمة، فيرتفع عن مواطن التردد والانهيار النفسي أمام المجهول. يقول الماتريدي (الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 2005، 219/3) "من عرف أن له ربًا قادرًا عالمًا، علم أنه ليس لغيره من دونه استقلال بأمر، فاطمأن قلبه وسكن اضطرابه".

ثانيًا: دور التربية الإيمانية في تحقيق الأمن العقدي

إن البناء العقدي لا يتحقق بمجرد المعرفة النظرية، بل يحتاج إلى تربية إيمانية دائمة تتدرج بالإنسان من فهم المفاهيم إلى التفاعل العملي معها، وهو ما يحدث أثرًا فعليًا في سلوكه وانفعالاته. فالإيمان حين يُربى في النفس، يُورث صاحبه شهودًا دائمًا لمعية الله، فيكون ذلك سببًا في استقراره وثباته، لا سيما في أوقات المحن والابتلاءات، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (173) سورة آل عمران: 173، وذكر الرازي (الرازي، التفسير الكبير، 1999، 125/8) أن مثل هذه الآيات تُبين كيف يُغرس الأمن النفسي من خلال تقوية صلة الإنسان بالله، وأن اليقين في كفاية الله ينعكس مباشرة على الطمأنينة والشجاعة أمام الأزمات.

ثالثًا: النصوص الشرعية التي تؤكد على الطمأنينة الناتجة عن الإيمان والتوكل

لقد اعتنت النصوص القرآنية والحديثية بتأكيد أن الإيمان والتوكل على الله من أعظم مصادر الأمان الداخلي، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سورة التوبة: 129، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (28) سورة الرعد: 28.

وفي الحديث الصحيح، قال النبي ﷺ: «من قال حين يصبح: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمُّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب في فضل حسبنا الله، حديث رقم: (3388)، وقال: حسن غريب)، وهو نصٌّ صريح في أثر التوكل على تحصيل الطمأنينة ودفع الهم والقلق.

2.2.4 بناء الوعي العقدي بالمخاطر الفكرية المعاصرة

أولاً: أهمية الخطاب العقدي الواعي في معالجة الشبهات الفكرية والإلحادية

في ظل الانفتاح المعلوماتي وتسارع التحولات الفكرية، أصبحت العقيدة الإسلامية تواجه تحديات متنوعة، لا سيما في صورة الشبهات الإلحادية والمفاهيم اللادينية المنتشرة عبر وسائل الإعلام والمنصات الرقمية. ومن هنا تبرز أهمية الخطاب العقدي الواعي، الذي لا يقتصر على عرض المفاهيم الإيمانية، بل يُعيد تقديمها بلغة عقلية معاصرة، قادرة على ملاسة إشكاليات الإنسان الحديث وشكوكه.

وقد أشار عدد من علماء الكلام إلى ضرورة مراعاة مقامات المخاطبين عند تقرير العقائد، كما قال القاضي عبد الجبار (عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، 1969، 142) "الخطاب لا يؤتي ثماره إلا إذا نزل إلى مستوى السائل، وتدرج معه في مراتب البيان حتى يقنع عقله ويدفع شبهته".

وهذا يُحتم على الدعاة والخطباء وكتاب العقيدة أن يستخدموا خطاباً يجمع بين النصوص النقلية والأدلة العقلية، مستحضرين الخلفيات الثقافية للمخاطبين، مع التركيز على الجوانب الوجودية التي يعاني منها الإنسان المعاصر كالقلق والعبثية والفراغ الروحي.

ثانياً: تفعيل دور العلماء والمؤسسات العقدية في توعية الناس

لا يمكن مواجهة التحديات الفكرية إلا من خلال مؤسسات علمية رصينة تتبنى الردود العقدية بأسلوب منهجي مدروس. ويقع على عاتق العلماء الربانيين والمجامع الفقهية ومراكز الدراسات العقدية مسؤولية تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتفنييد الشبهات المعاصرة، مع التواصل المباشر مع الجمهور عبر الوسائل الحديثة. وقد نبّه أبو الحسن الأشعري (الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين، ص101) إلى ضرورة أن "يكون للعلماء حضور في الرد على المتكلمين وأصحاب الأهواء، حماية لعقيدة العامة"، وهو ما يقتضي اليوم حضوراً رقمياً نشطاً، ومنتجات معرفية مرئية ومسموعة موجهة لجيل الشباب بأسلوب جذاب.

ثالثاً: أمثلة على الردود العقلية والنقلية في مواجهة الانحرافات

لقد أثبت التراث العقدي الإسلامي قدرته على تقديم ردود عقلية ونقلية متماسكة تجاه مختلف الانحرافات العقدية، ومنها الإلحاد الحديث. فالقرآن الكريم استخدم الدليل العقلي في الرد

على منكري الإله قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (35) سورة الطور: 35، وهي آية يُقرّر فيها برهان التسلسل والاحتياج إلى الخالق، كما اعتمد علماء الكلام كالماتريدي والباقلاني على برهان حدوث العالم واستحالة وجوده بذاته، فقال الماتريدي (الماتريدي، التوحيد، 1970، 74) "لو جاز أن يوجد العالم بلا محدث، لجاز أن يوجد كل شيء بلا فاعل، وهذا باطل ضرورة". ومن الأدلة النقلية كذلك، الاستدلال بالآيات التي تُظهر آثار قدرة الله في النفس والآفاق، كما في قوله تعالى:

﴿سَرِّبَهُمْ أَیَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ

شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ سورة فصلت: 53، وهي دعوة مفتوحة للتأمل العقلي المفضي إلى الإيمان والطمأنينة.

3.2.4 تأصيل مفهوم الأمن العقدي في الخطاب الديني والمناهج التربوية

أولاً: أثر التربية العقدية في تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي

تُعد التربية العقدية الركن الأساسي في بناء الإنسان المسلم المتزن نفسياً واجتماعياً، إذ تمنحه إحساساً بالأمان الداخلي من خلال ترسيخ الإيمان بالله تعالى والثقة في قضائه وقدره، مما ينعكس إيجاباً على استقراره النفسي وتفاعله السليم مع مجتمعه. فالطمأنينة القلبية من ثمرات الإيمان الصادق، كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ سورة الرعد: 28، وقد دلّت السنة النبوية على هذا المعنى بقول النبي ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنه حيزت له الدنيا»، وهو بيان صريح لعلاقة الأمن النفسي بالإيمان والتوكل (ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، 1998، 98). إن الفرد المؤمن حين يترسخ في قلبه الإيمان بقضاء الله وحكمته، تقل اضطراباته الداخلية، ويتعامل مع الابتلاءات بروح راضية مطمئنة، مما يسهم في بناء مجتمع آمن مستقر، خالٍ من العنف والفوضى.

ثانياً: اقتراح إدماج المفاهيم العقدية المتعلقة بالأمن في المناهج التعليمية

يتطلب تعزيز الأمن العقدي في المجتمع إدماج المفاهيم العقدية في العملية التعليمية بصورة ممنهجة. فالمناهج الدراسية ينبغي ألا تقتصر على المعلومات المعرفية، بل تتجه نحو غرس الإيمان الصحيح، وتعزيز المفاهيم المرتبطة بالأمن الداخلي والتوازن النفسي.

وقد أكد العلماء أهمية بناء المناهج التربوية على أسس عقدية، حيث أشار ابن رشد إلى أن التعليم لا يُثمر إلا إذا ربط بين الفكر والعقيدة، فقال: "التربية الصحيحة لا تقف عند حدود الفكر المجرد، بل تهدف إلى تقويم الفطرة وتوجيه العقل نحو الاعتقاد الحق" (الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب في القناعة، حديث رقم: 2346). ومن هنا، فإن تطوير المناهج بما يربط العلوم بالعقيدة، خاصة في المراحل المبكرة، يضمن نشأة أجيال تتمتع بأمن فكري ونفسي، ووعي عقدي يحصنها من الانحرافات الفكرية والضغوط الاجتماعية.

ثالثاً: أهمية القدوة العملية والخطاب الديني المتزن في تعزيز هذا المفهوم

تضطلع القدوة العملية دوراً حاسماً في ترسيخ القيم العقدية، إذ يتأثر الأفراد بما يشاهدونه من سلوكيات قبل تأثرهم بالمواعظ المجردة. وقد جعل الله تعالى في نبيه ﷺ الأسوة الحسنة، فقال سبحانه

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ سورة الأحزاب: 21، فالآباء، والمعلمون، والدعاة، يمثلون نماذج حية تُجسد القيم العقدية، بما يعزز

الشعور بالأمن العقدي لدى المتلقين، خصوصاً إن اقترن ذلك بخطاب ديني متزن يراعي الفروق الثقافية والنفسية، ويقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَتِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: 125)، وتشير الدراسات التربوية إلى أن الانسجام بين القول والفعل هو العامل الأكبر في نجاح الخطاب العقدي، وهو ما يدعو إلى ضرورة تأهيل الدعاة والمربين علمياً ونفسياً، ليكونوا قدوات صالحة، تنقل العقيدة بأسلوب عملي مؤثر.

ومما سبق يتبين أن اختلال الأمن العقدي في الواقع المعاصر لا يُمكن معالجته بمعزل عن الأسس الإيمانية التي ترسخها العقيدة الإسلامية في النفس. فقد برز دور عقيدة التوحيد بوصفها المحور الأساس في تكوين شخصية الإنسان المسلم القادر على تجاوز مشاعر القلق والاضطراب، من خلال الثقة المطلقة بالله والركون إلى قضائه وعدله. كما اتضح أن المعالجة الفكرية للمخاطر المعاصرة تقتضي خطاباً عقدياً عقلانياً واعيّاً، يتجاوز الأساليب التقليدية، ويخاطب الشبهات بوحي وتأصيل منهجي يجمع بين النقل والعقل، بالتوازي مع تفعيل دور المؤسسات العقدية والعلماء في توجيه الرأي العام.

وقد أظهر التحليل أن التربية العقدية المتوازنة، سواء من خلال المناهج التعليمية أو الخطاب الديني، تسهم في ترسيخ الأمن النفسي والاجتماعي، خصوصاً عند الاقتران بنماذج سلوكية حية تمثل القدوة الصالحة، وتقدم العقيدة بأسلوب عملي واقعي. وعليه، فإن تعزيز الأمن العقدي ليس مجرد معالجة فكرية، بل هو مشروع تربوي متكامل يبدأ من النفس، ويمتد إلى بنية المجتمع ومؤسساته التعليمية والدينية، ويحتاج إلى وعي دائم بتغيرات العصر ومخاطره الفكرية.

5. النتائج:

وتوصلت الباحثة إلى عدد من النتائج والتوصيات والمقترحات وفقاً لما يأتي:

1. أن الخوف والجوع في القرآن الكريم وردا في مواضع ابتلاء وعقاب ووعظ، ويشكلان رمزين لأشد أنواع الاضطراب الذي قد يصيب الإنسان، مما يدل على خطورتهما وأثرهما في الوجود الإنساني.
2. أن تحقق الأمن العقدي مرتبط بتحقيق التوحيد، وأنه في القرآن الكريم نعمة مشروطة بالإيمان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: 82).
3. أن العقيدة الإسلامية تقدم تفسيراً شاملاً لأسباب الخوف والجوع، يجمع بين الأسباب الكونية والشرعية، ويعيد بناء العلاقة بين الإنسان والكون والإله وفق مبدأ الابتلاء والجزاء.
4. أن من معوقات تحقق الأمن العقدي: ضعف التصور العقدي الصحيح، وتغيب التفسير الإيماني للأحداث، وتفاقم النزعة المادية، والفصل بين العقيدة والسلوك.

5. يرشد القرآن الكريم إلى معالجات عقدية عميقة للخوف والجوع، عبر التذكير بأسماء الله جل جلاله وصفاته، والتوجيه إلى الدعاء والصبر والرجوع إلى الله، مما يعزز الأمن النفسي والروحي في الأزمات.
6. الربط بين المفاهيم العقدية والمشكلات الواقعية المعاصرة يساعد في ترشيد الوعي، ويؤسس لمقاربة تربوية وإصلاحية تتجاوز الحلول المادية الجزئية.

خاتمة

أن هذه المفاهيم الخوف والجوع ليست حالات نفسية أو ظواهر اجتماعية عابرة، بل لها جذور عميقة في البناء العقدي للإنسان، وتترتب عليها آثار عظيمة في تشكيل الوعي، وضبط السلوك، وتحقيق الاستقرار الإيماني والمجتمعي. وقد تضمن البحث دراسة هذه المفاهيم من مصادرها القرآنية، مع ربطها بالواقع الإنساني المعاصر الذي يشهد اضطرابات أمنية ونفسية ومعيشية متزايدة، مما يعيد طرح سؤال العلاقة بين سلامة العقيدة وتحقيق الأمن الشامل.

التوصيات:

1. تعزيز الخطاب العقدي في تفسير الأزمات المعاصرة، وخاصة ما يتعلق بالخوف والقلق والفقر والجوع، وربطه بالتوجيه القرآني والتربوي.
2. إعادة إدماج المفاهيم العقدية في المناهج التربوية والإعلامية، لبيان أثر الإيمان في تحقيق الأمن الداخلي والمجتمعي.
3. تشجيع البحوث التي تربط بين القيم الإيمانية والمفاهيم النفسية والاجتماعية، باعتبار أن العقيدة ليست شأنًا فرديًا فقط، بل إطار شامل لفهم الحياة.
4. الاستفادة من الدلالات القرآنية في بناء برامج وقائية لمعالجة الهشاشة النفسية والأمنية في المجتمعات، خاصة لدى الشباب والناشئة.

المقترحات:

1. دراسة موسعة حول: "مفهوم الأمن في القرآن الكريم بين الشروط العقدية والموانع السلوكية".
2. بحث اجتماعي عقدي في: "الجوع كابتناء قرآني: تحليل لآثاره النفسية والمجتمعية في ضوء السنن الإلهية".

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن رجب، ع. ر. أ. (1999). جامع العلوم والحكم (تحقيق: شعيب الأرنؤوط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن رشد. (1998). مناهج الأدلة في عقائد الملة (تحقيق محمد عمار، ط1). دار الشروق.
- ابن عاشور، م. ط. (1997). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن فارس، أ. (1991). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون، ط1). دار الفكر.
- ابن كثير، إ. ع. (1999). تفسير القرآن العظيم (تحقيق سامي السلامة، ط2). الرياض: دار طيبة.
- ابن منظور. (1993). لسان العرب (ط3). دار المعارف.
- الأشعري، أ. ح. (1999). اللمع في الرد على أهل الزيغ والبعد (تحقيق عبد العزيز الكناني). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأشعري، أ. ع. ب. إ. (د.ت). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- الباقلاني، م. ب. (1987). التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد). بيروت: دار الفكر.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري (تحقيق: محمد زهير الناصر). دار طوق النجاة.
- البيضاوي، ن. ع. (1991). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تح. محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، ج3، ص153). دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، ع. ب. م. (1985). التعريفات (ص. 95). دار الكتاب العربي.
- الرازي، ف. الد. (د.ت). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزحيلي، و. (1998). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج. 14، ص. 208). دار الفكر المعاصر.
- الزمخشري، م. ج. (2009). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تح. عبد الرزاق المهدي، ط1). دار إحياء التراث العربي.
- السعدي، ع. ر. (1995). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار المنهاج.
- الطبري، م. ب. ج. (1992). جامع البيان في تأويل آي القرآن (تحقيق أحمد شاكر). دار الفكر.

- الطبري، م. ج. (2000). جامع البيان في تأويل آية القرآن (تحقيق أحمد شاکر، ط. 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عبد الجبار، ع. (1979). شرح الأصول الخمسة (تحقيق عبد الكريم عثمان، ط. 2). بيروت: دار التنوير.
- الغزالي، أ. ح. (1992). إحياء علوم الدين (تحقيق محمد أبو زهرة). دار الفكر.
- القرطبي، م. ب. أ. (1964). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق أحمد البردوني). دار الكتب المصرية.
- القشيري، عبد الكريم. (2000). لطائف الإشارات (ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- قطب، م. (1982). جاهلية القرن العشرين (الطبعة 4). دار الشروق.
- الماتريدي، أ. م. (1970). كتاب التوحيد (تحقيق: فتح الله خليف). القاهرة: دار الجامعات المصرية.
- الماتريدي، أ. م. (2005). تأويلات أهل السنة (تحقيق مجدي باسلوم، ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- الندوي، أ. أ. (2007). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (الطبعة 15). دار السلام.
- النغمشي، ع. ب. م. (1993). فقه الابتلاء في ضوء الكتاب والسنة. دار العاصمة.
- النيسابوري، محمد بن عبد الرحمن. (1996). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تحقيق زهير الشاويش، ط. 1). بيروت: دار البشائر الإسلامية.